البعد التداولي للخطاب الإعلامي في ظل جائحة كورونا؛ دراسة في المقاصد

د. رانيا أحمد عموري

أستاذ مساعد، كليات التقنية العليا، الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني: ramoori@hct.ac.ae

معرف (أوركيد): 0000-0001-7103-1240

بحث أصيل الاستلام: ٢٢-٣-٢٠٢١ القبول: ٢٠-٤-٢٠٢١ النشر: ٢٨-٤-٢٠٢١

الملخص:

تتمحور فكرة البحث حول تجلي معنى الخطاب في سياق معين، بالنظر إلى اللغة على أنها استعمال حي، وليست علامات مجردة فحسب، كما قد تُظهر ممارسات النحو، بل تتطلب إنتاج معرفة تجعل من هذه العلامات حية تفاعلية، مما يستدعي دراسة السياق.

سيعمل البحث على دراسة الخطاب الإعلامي لوزارة الصحة الأردنية في ظل جائحة كورونا، باستخدام المنهج التداولي؛ لأنه المنهج المعني بدراسة اللغة في الاستعمال، بالإضافة إلى كونه معنيًا بدراسة مقاصد منتج الخطاب، وكيف يستطيع أن يبلّغها في مستوى يتجاوز مستوى الدلالة الحرفية، وعليه سيدرس البحث الآليات التي وظّف فيها منتج الخطاب المستويات اللغوية المختلفة في سياق معين، ليتمكن من جعل خطابه قادرًا على أن يبلّغ مقاصده مع مراعاة الوقائع الخارجية مثل زمن الخطاب ومكانه وسياق إنتاجه، سيتم التركيز على استراتيجيات الخطاب التي خدمت المقاصد، والسلطة؛ المقاصد بما تستدعيه من استراتيجيات الإقناع، والسلطة بما تستدعيه من استراتيجيات التوجيه والتلميح.

الكلمات المفتاحية:

البعد التداولي، خطاب وزارة الصحة، جائحة كورونا، الخطاب، السياق

للاستشهاد: عموري، رانيا. (٢٠٢١). البعد التداولي للخطاب الإعلامي في ظل جائحة كورونا؛ دراسة في المقاصد. ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها. مج٢، ع٣. ٨٥-١١٠ https://www.daadjournal.com/

Atıf İçin / For Citation: Amoori, Rania. (2021). Korona Salgını Sürecindeki Bilgilendirici Söylemde Edimbilimsel Boyut - Amaçlarla İlgili Çalışma. Arap Dilbilimi ve Edebiyatı Dergisi – DÂD. Cilt/Volume 2, Sayı/Issue 3, 85-110. https://www.daadjournal.com/

The deliberative dimension of Informative Discourse During the Corona Pandemic, a Study in the Purposes

Dr. Rania Ahmad Amoori

Assistant Professor, Higher Colleges of Technology,UAE

E-mail: ramoori@hct.ac.ae

Orcid ID: 0000-0001-7103-1240

Research Article Received: 22.3.2021 Accepted: 20.4.2021 Published: 28.4.2021

Abstract:

The idea of this research revolves around the manifestation of the meaning of discourse in a specific context, considering language as a living use, and not only abstract signs, as grammar practices may show, but rather requires the production of knowledge that makes these signs live interactive, which requires studying the context. The research will study the Informative discourse of the Jordanian Ministry of Health in light of the Corona pandemic, using the pragmatic approach. Because it is the method concerned with studying language in usage, in addition to being concerned with studying the intentions of the discourse producer, and how it can communicate these intentions at a level that exceeds the level of literal significance. Accordingly, the research will study the mechanisms by which the discourse producer employed the different linguistic levels in a specific context, in order to enable the speech to be able to convey its aims, taking into account external facts such as the speech's time, place, and production context. Emphasis will be placed on discourse strategies that have served purpose and authority; Purposes with the required strategies of persuasion, and the authority required by the strategies of guidance and allusion.

Keywords:

The Pragmatic Approach, the Ministry of Health's Speech, Corona pandemic, Discourse, Context.

Korona Salgını Sürecindeki Bilgilendirici Söylemde Edimbilimsel Boyut - Amaçlarla İlgili Çalışma

DR. Öğr. Üyesi Rania Ahmad Amoori

Yüksek Teknoloji Kolejleri, BAE

E-Posta: ramoori@hct.ac.ae

Orcid ID: 0000-0001-7103-1240

Araştirma Makalesi Geliş: 22.03. 2021 Kabul: 20.04.2021 yayın: 28.04.2021

Özet:

Bu araştırmanın fikri, söylemin belirli bir bağlamdaki anlamını ortaya çıkarma düşüncesi etrafında şekillenmektedir. Araştırma dili canlı bir kullanım olarak görüyor. Dilin nahiv kurallarında göründüğü gibi sadece somut işaretler olmadığını, aksine bu işaretlerden bağlamın incelenmesini gerektiren etkileşimsel bir ortam oluşturan bilgi üretimini gerektirdiğini düşünüyor.

Bu çalışma Ürdün Sağlık Bakanlığı'nın Korona salgını sürecinde yaptığı bilgilendirici söylemi edimbilimsel yöntemi kullanarak inceleyecektir. Çünkü bu yöntem dilin kullanımı yanında söylemden ortaya çıkan amaçla ve onun literal anlamı aşan bir boyutta nasıl aktarılacağını araştırmakla da ilgilenmektedir. Buna göre araştırma, konuşmanın zamanı, yeri ve üretim bağlamı gibi dış gerçekleri dikkate alarak konuşmanın amaçlarını aktarabilmesini sağlamak için söylem üreticisinin farklı dil düzeylerini belirli bir bağlamda kullandığı mekanizmaları inceleyecektir. İkna stratejilerini gerektiren amaçlara ve yönlendirme ve hatırlatma stratejilerini gerektiren yönetime hizmet eden söylem strajelerine vurgu yapılacaktır.

Anahtar Kelimeler:

Edimbilimsel Yaklaşım, Sağlık Bakanlığı Söylemi, Korona Salgını, Söylem, Bağlam

تقديم:

يعنى المنهج التداولي في جوهره بدراسة اللغة في الاستعمال، بالنظر إلى الخطاب على أنه نقطة التقاء المتخاطبين، إذ "يدرس المعنى مع التركيز على العلاقة بين العلامات ومستعمليها والسياق، أكثر من اهتمامه بالمرجع أو الحقيقة، أو بالتركيب"[(١)]، ويهتم بالجانب الوظيفي التداولي والسياقي في الخطاب، بدراسة مجمل العلاقات الموجودة بين منتج الخطاب ومتلقيه مع التركيز على البعد الحجاجي الإقناعي وأفعال الكلام، ومحاولة اكتشاف العلامات المنطقية الحجاجية، مع التركيز على عنصر المقصدية والوظيفة، وبهذا يكون قد تجاوز هذا المنهج سؤال البنية وسؤال الدلالة ليهتم بسؤال الوظيفة والدور والرسالة والسياق الوظيفي[(٢)]، أما من الناحية التطبيقية فتعنى إجراءات التداولية "بفهم الجملة الواحدة من الكلام فتذهب في البحث عن طبيعة وضعها انطلاقًا من العناصر المعجمية إلى المؤشرات النظمية أو المعطيات السياقية"[(٣)]، فالاستعمال غير معزول عن الوضع اللغوي، ويعتمد تحليله على اختلاف السياقات التي تستدعي اختلاف المعاني، فيركز الدرس التداولي في جانبيه النظري والتطبيقي على التحليل في نقطةٍ وسط بين وضع اللغة من حيث هي نظام وبين استعمالها، ذلك أن دلالة الوضع كما يعرّفها اللغويون هي دلالة الألفاظ والجمل على المعاني في حالتها الصورية المطلقة بغض النظر عن السياق التخاطبي، بينما تنطوي دلالة الاستعمال على دلالة اللفظ والجملة على المعنى ضمن سياق معين.

لعلّ أبرز ما يظهر في العملية التخاطبية، وفق التداولية، هو مدى نجاح الخطاب في إيصال الرسالة، ويعد مقياس غرايس لمبادئ المحادثة معيارًا مهما قدمه التداوليون لضمان الحد الأدنى لنجاح الخطاب؛ إذ يرى أن المحادثة عملية مشاركة بين المتخاطبين، يضبطها مبدأ التعاون الذي يقتضي " أن المتكلمين متعاونون في تسهيل

---

(١) النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ٢١٥.

(٢) التداوليات وتحليل الخطاب: ٤.

(٣) نظرية النص الأدبي: ٤٠٣.

عملية التخاطب، وهو يرى أن مبادئ المحادثة المتفرعة عن مبدأ التعاون هي التي تفسر كيف نستنتج المفاهيم الخطابية"[١]، ويمكن تلخيص أهم هذه المبادئ على النحو التالي[٢]: مبدأ الكم: ويعني أن يكون الخطاب متضمنًا القدر الكافي من الأخبار التي تضمن تحقق الغرض، وهو إيصال الرسالة للمتلقي، مما يستدعي الابتعاد عن التفصيل وتفادي الإطناب والاستطراد في الكلام، ومبدأ الكيف: ويعني أن يكون الخطاب صائبًا وحقيقيًا بعيدًا عن المبالغات، مما يستدعي البرهنة والحجاج على مضمون الخطاب، فلا يتم إطلاق الأحكام دون أدلة، ويسمى كذلك مبدأ الصدق، ومبدأ المناسبة: ويسمى كذلك مبدأ الأسلوب، والذي يعني تجنب إبهام التعبير واللبس، فيكون الخطاب واضحًا غير مبهم مناسبًا لسياق الحال، وتعد هذه المبادئ، على الرغم مما وجه لها من انتقادات، أساسًا للدرس التداولي.

وتتأرجح الخطابات في إيصال الرسالة بين معانٍ حرفية قائمة على التقريرية والمباشرة والتعيين، ومعانٍ سياقية مبنية على التضمين والإيحاء والاقتضاء والاستلزام الحواري والإنجازي[٣]، أي أن الخطاب قد تحتمل بنيته مضامين إخبارية، وقد تحتمل أبعادًا سياقية وتداولية تحتاج إلى تأويل، أما المعنى الذي نجده في خطابات وزارة الصحة الأردنية محل الدراسة فمضامينه إخبارية مباشرة على نحو واضح، ولا تحتاج إلى إمعان في التأويل، والأمر هنا مرتبط بظروف الخطاب الموضوعية ووضعية المتكلم ومكانته ووضعية المخاطبين، "ففهم الخلفيات المعرفية والظروف التي شكلت النص مفاتيح هامة لإدراك المعاني التي يكتنفها النص"[٤] ، وثمة فرق بين المعنى الحرفي والمعنى السياقي المرتبط بالمقام والسياق والإحالة، الذي يستدعي التأويل في بعض الأحيان، إذ يقوم السياق بدور هام في تحقيق اتساق النص وانسجامه، ف "

(١) مدخل إلى اللسانيات: ٩٩.

(2) See P. Grice. (Logic and conversation), In Steven David (ed), Pragmatics: A reader, New York, Oxford University press,1991K pp205-3015.

(٣) التداوليات وتحليل الخطاب: ٤٠.

(٤) المقصد والاستراتيجية: ٥٨.

الخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه، بالمعنى المحدد سلفًا، إذ كثيرًا ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية من حيث لغته ولكنه يتضمن قرائن (الضمائر والإحالات) تجعله غامضًا غير مفهوم بدون الإحاطة بسياقه، ومن ثم فإن للسياق دورًا فعالاً في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس، وما كان ممكنًا أن يكون للخطاب معنى ولولا الإلمام بسياقه"(١).

وقد كان خطاب وزارة الصحة بالرجوع إلى مبادئ غرايس، متضمنًا القدر الكافي من الأخبار التي ينتظرها المتلقي من حيث عدد الإصابات وبنود قانون الدفاع، ومحاذير الإغلاق...الخ، دونما لجوء إلى الإطناب والتفصيل إلا فيما يتعلق بنص القوانين، فقد كان التفصيل حاضرًا، لكنه تفصيل منسجم مع ضرورة أن يكون الكم مستوفيًا للقدر الكافي من الأخبار التي تضمن تحقق الغرض، أما من حيث الكيف فقد تمكنت الوزارة من خلال خطابها في الفترة ما بين آذار وأيار من أن تكسب ثقة المتلقي بسبب ثبوت دقة وصواب الأخبار التي يتم إعلانها، وقد توسل الخطاب إلى هذا عن طريق الإقناع وتقصي وسائل الحجاج كما سنبين لاحقًا، كما كان الخطاب منسجمًا مع مبدأ الأسلوب، فكان واضحًا لم يحتجْ المتلقي إلى مهارة عالية في تأويله.

وحتى ينجح منتج الخطاب في إيصال رسالته لا بد من أن تكون لديه كفاءة تداولية، وتعد الكفاءة التداولية مكونًا أساسيًا من مكونات أصحاب السلطة، وليست الكفاءة التداولية نسقا بسيطًا، بل هي أنساق متعددة متآلفة؛ إذ "تتألف القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعية من خمس ملكات على الأقل، كما صنفها فان ديك، وهي: الملكة اللغوية، والملكة المنطقية، والملكة المعرفية، والملكة الإدراكية، والملكة الاجتماعية"(٢)، أما الملكة اللغوية فبها يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن ينتج ويؤول إنتاجًا وتأويلاً صحيحين، وتعني الملكة المنطقية أن بإمكان مستعمل اللغة على اعتبار أنه مزود بمعارف معينة أن يشتق معارف أخرى بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ

(١) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥٦.

(٢) استراتيجية الخطاب، مقاربة لغوية تداولية: ٥٧.

المنطق الاستنباطي، في حين تعني الملكة الاجتماعية ألّا يعرف مستعمل اللغة الطبيعية ما يقوله فحسب، بل يعرف كذلك كيف يقوله لمتلقٍ معين في موقف تواصلي معين، قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة، وعلى أساس هذا التصور للقدرة التواصلية يصاغ أنموذج مستعمل اللغة الطبيعية في شكل جهاز يتكون من خمسة قوالب: القالب اللغوي، والقالب المعرفي، والقالب الاجتماعي، والقالب المنطقي، والقالب الإدراكي(١).

إن كفاءة الإنسان التداولية وصناعته لخطابه مسألة متفاوتة، والتفاوت مكان المزية في خطابات المتكلمين كما يقول الجرجاني(٢)، ويتضح ذلك عند قصور البعض في التعبير عن مقصده.

وعليه فإن وصول مقصد منتج الخطاب هو الغاية القصوى للخطاب، لذلك يتم التوسل بكل ما من شأنه أن يوصل هذا المقصد بوضوح، وهو في ذلك يراعي عناصر السياق المختلفة؛ وربما كان من أهمها متلقي الخطاب، دون أن ينسى طبيعة علاقته به، وسياق الخطاب الذي يعد مؤثرًا أساسيًا في اختيار استراتيجيات الخطاب المناسبة؛ لأن عدم معرفة الاستراتيجية المناسبة للسياق قد يقود إلى سوء الفهم، وليس أدعى من المناسبة بين الخطاب والسياق العام ضرورةً لاهتمام ناطق رسمي باسم الحكومة في موقف دقيق كهذا.

وقد ميزت التداولية بين وظيفتين للغة ترتبطان بمقاصد منتج الخطاب وبموقفه الاجتماعي وأهدافه، هما: الوظيفة التعاملية والوظيفة التفاعلية(٣)، أما الوظيفية التعاملية فهي ما تقوم به اللغة من نقل ناجح للمعلومات، تبرز من خلاله قيمة الاستعمال اللغوي، فيركز منتج الخطاب جهده نحو بناء الخطاب ليصل مضمونه بشكل صحيح ودقيق، وتعد هذه الوظيفة إحدى مزايا اللغة الطبيعية التي تمكّنَ بها البشر من التواصل

(١) اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: ١٧٧.

(٢) دلائل الإعجاز: ٢٤.

(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص ٣.

الذي أفضى إلى تنامي الثقافات بتناقل المعرفة، والوظيفة الثانية هي الوظيفة التفاعلية، التي يبني بها المتخاطبون علاقاتهم الاجتماعية، ويحققون غاياتها، وقد يقتصر دور اللغة في بعض السياقات على إقامة العلاقات وتثبيتها، وقد يتجاوز ذلك إلى التأثير، فاللغة هنا لا تؤدي وظيفة مرجعية تحيل إلى مدلول فحسب، بل تؤدي وظيفة تداولية تتفاوت حسب القصد الذي أُنتج الخطاب لإيصاله؛ فقد يقتصر هدفه أحيانًا على اللطف والكياسة، فيتجاوز مقصده إيصال المعرفة فحسب، وفي موقف وزارة الصحة هنا كانت الوظيفة مزدوجة، هدفها الأساس تعاملي، يهدف إلى أن تصل المعلومة بشكل صحيح دقيق، دون إغفال هدف آخر مهم، وهو السعي لكسب ثقة المتلقي والتأثير فيه لطمأنته بالمقام الأول، وتعزيز ثقته بقرارات الحكومة، وهو دور تفاعلي، حاول وزير الصحة أن يجتهد فيه، باختيار استراتيجيات خطاب مناسبة.

يقوم الخطاب من وجهة نظر تداولية على العناصر الأساسية التالية: منتج الخطاب؛ وهو طرف الخطاب الأول الذي يتجه بالخطاب إلى المتلقي، الذي يُعد الطرف الثاني، لإكمال العملية التخاطبية، بقصد إيصال مضمون له أو التأثير فيه، وهذا المضمون أو الغرض هو العنصر الثالث؛ يختار منتج الخطاب فيه ما يناسب منزلته ومنزلة المتلقي، وما يناسب السياق العام، وقد تفرض عناصر السياق على منتج الخطاب أطرًا لا بد من مراعاتها في سبيل إيصال مقاصده، وتتنوع هذه الأطر بتنوع العناصر السياقية، فإن كان هدفه الإقناع اختار من الأدوات اللغوية والآليات الخطابية ما يبلغه مراده، وإن كان هدفه ممارسة سلطة، فإنه يعمد إلى الأدوات التي تكفل تحقيق ذلك، وتنعكس هذه الأطر بشتى ضروبها في تشكيل الخطاب وآلياته، أما العنصر الرابع فهو السياق؛ وهو الإطار العام الذي يسهم في ترجيح أدوات بعينها واختيار آليات مناسبة لعملية الإفهام والفهم بين طرفي الخطاب، وذلك من خلال عدد من العناصر؛ فمن عناصره العلاقة بين المتخاطبين سواء أكانت سلبية أم إيجابية، ويعد عدم وجود علاقة توجيهًا لمنتج الخطاب في اختياراته، وهذا ما كان بداية خطاب الوزارة، فقد حاولت أن تبني علاقة جديدة مع المتلقي، نجحت في أن تكسب ثقته فترة غير قليلة، كما أن الزمان والمكان اللذين يتلفظ فيهما بخطابه من عناصره المهمة، ومعرفة عناصر السياق ليست مهمة

لمنتج الخطاب فحسب، بل لمتلقيه ومحلله لإعانتهما في الاستدلال على المقاصد وإدراكها.

وإلى جانب عناصر السياق التي تفرض أطرها فإن للمتلقي أطره التي يفرضها كذلك، إذ يوجه منتج الخطاب لاختيار أدواته وصياغة خطابه سواء بحضوره الفعلي أم الذهني، وذلك لأنه، أي المتلقي، هو الطرف الذي أُنشئ الخطاب للتأثير فيه وإيصال المقاصد إليه، هذا دوره الأول، أما دوره الثاني فيبدأ بعد تلقي الخطاب والشروع في تفكيكه وتأويله لمعرفة مقاصد منتجه، والخطاب هو ثمرة اجتماع العناصر الثلاثة السابقة، أقصد منتج الخطاب ومتلقيه وسياقه، ففيه توظف الأدوات اللغوية والاستراتيجيات الخطابية المنتقاة لإيصال المقاصد، ومن خلال تتبع خصائصه التعبيرية يمكن للمتلقي معرفة الكيفية التي تعامل بها منتج الخطاب مع مقصده وذاته، ومع المتلقي، هل حاول أن يقربه أم يبعده؟ هل حاول إقناعه أم فرض سلطته عليه؟ هل تنازل عن موقعه تقديرًا له أم أنه مبقٍ على مسافةٍ بينهما؟ كل هذه الاعتبارات وغيرها تبين كيف يمكن للغة الخطاب أن تعكس كل ذلك بوصفه حقيقة قائمة.

بناء على ما تقدم نستطيع أن نقول بأن عناصر الخطاب جميعها توجّه اختيار الأدوات اللغوية، بل تعد انعكاسًا لها، وعندما تأتي مرحلة تحليل الخطاب فإن معرفة هذه العناصر تصبح أداة أساسية لتفكيك هذه اللغة وصولاً إلى المقاصد، سنرى في هذا البحث كيف تعامل خطاب وزارة الصحة الأردنية في الموقف التواصلي الخاص هذا مع عناصر السياق والمتلقي، وكيف تحكّم هذا الموقف الذي جرت فيه عملية التخاطب بالخطاب، من حيث المعلومات التي قصد الوزير إبلاغها، وفيما إذا كان قصده يكمن في الإبلاغ فحسب، أم أن ثمة هدفًا تواصليًا آخر؟ وما مدى اتصاف سياق الفعل الكلامي بالرسمية؟ وما هي التأثيرات التي رغب في تحقيقها من خلال فعل التواصل؟ وهل يخدم إبراز قصده من الخطاب تعزيز الفروق التراتبية بينه وبين المتلقي أم أن محوها هو ما يوصله إلى مقصده؟

تقود الإجابات عن هذه الأسئلة إلى الوسائط اللغوية واستراتيجيات الخطاب المعينة التي تم اللجوء إليها لإيصال المقصد، الذي كان بالإجمال إحكام السيطرة على وباء يقف الموقف الصحي عالميًا منه موقف المرتبك، ولا بد للسيطرة على هذا الموقف من تعاون المتلقي واستجابته، وهو موقف لا يكون بالإكراه وإنما بكسب المتلقي باعتباره شريكًا في مواجهة الوباء، لذلك نلحظ خروج الخطاب، رغم رسميته، عن أن يكون خطابًا يلح على التراتبية بين منتجه ومتلقيه، بل ربما كان الأمر عكس ذلك تمامًا، إذ اتبع الخطاب الاستراتيجية التضامنية في غالب الأحيان، وقد وجدنا لجوءًا إلى الاستراتيجية التوجيهية في مواقف بعينها كانت تستدعي حزمًا، لقد كانت هذه الاستراتيجيات مرتبطة بواقع السلطة والمقاصد في خطاب وزارة الصحة، فقد تظهر هذه المقاصد مباشرة من شكل الخطاب، وربما لا تظهر، مما ينقل اللغة لتكون علامة دالة على مدلولات باطنة خلف ظاهر الخطاب، ولا تدل هذه العلامات في ذاتها دون الاستضاءة بالمعطيات السياقية والعلاقات التخاطبية والافتراضات المسبقة التي يفترض منتج الخطاب وجودها، فيبني خطابه بناءً عليها، وكذلك يدركها المتلقي فيستدل على المقاصد من خلالها.

وتتحدد ملكة منتج الخطاب التداولية من خلال اختيار هذه الاستراتيجيات التي يستدعيها مقصده من خلال أنساق لغوية تتيحها إمكانات اللغة، وتكون نتيجة سلسلة من الإجراءات الذهنية المحكومة بالعناصر السياقية، لذلك كان من مهام محلل الخطاب أن يُنزل هذه الاستراتيجيات منزلتها التي تبرز طاقتها الكامنة، مما يقضي بالحكم على منتج الخطاب وكفاءته التداولية، ويتم انتقاء هذه الاستراتيجيات بناء على مجموعة من المعايير؛ أهمها معيار اجتماعي وهو معيار العلاقات التخاطبية، ومعيار لغوي، وهو معيار شكل لغة الخطاب، أما المعيار الثالث فهو معيار هدف الخطاب.

أما العلاقة التخاطبية بين مؤسسة رسمية وشعب فهي علاقة سلطة بالمقام الأول، وتلعب السلطة دورًا أساسيًا في إنتاج الخطاب وتأويله، كما أنها تمنحه قوته الإنجازية،

لذلك، فهناك من يرى أن الخطاب نفسه سلطة[١]، ويتجلى دورها كذلك بوصفها موجهًا رئيسًا في ترجيح استراتيجيات معينة دون سواها، ومن أجل التعرف على دورها بالتفصيل وفعاليتها في إنتاج الخطاب، لا بد من تحديد مفهوم السلطة، وبيان مصادرها وأدواتها وآلياتها اللغوية، وكيفية تجاوز صورتها التقليدية في حدود أبعد منها، وكذلك معرفة أثرها في اختيار استراتيجية الخطاب المناسبة.

أما السلطة فتعني بمعناها العام " الحق في الأمر، فهي تستلزم آمرًا ومأمورًا وأمرًا، آمرًا له الحق في إصدار أمر إلى المأمور، ومأمورًا عليه واجب الطاعة للآمر بتنفيذ الأمر الموجه إليه"[٢]، إلا أن للمتلقي في هذا المقام سلطة سابقة على الخطاب، كما أن للغة سلطة، فبعض هذه الأبعاد سابق على إنتاج الخطاب، بما في ذلك مكان منتج الخطاب وزمان التلفظ به، وسلطته، وعلى هذا، فهو لا ينتج خطابه جزافًا، بل ينتجه بعد أن يضع هذه العناصر السياقية في حسبانه، نتيجة لسلطة تلك العناصر السياقية.

ويختار منتج الخطاب استراتيجية الخطاب المناسبة للسياق وفق ما تقتضيه سلطته، إما بتفعيلها، أي سلطته، أو بالتنازل عنها، على أن مفهوم منتج الخطاب ليس مقصورًا على الأفراد، بل يمكن أن يكون اعتباريًا أي مؤسسة أو هيئة أو وزارة، كما هو الأمر في خطاب وزارة الصحة محل الدراسة، فالمؤسسات تتكئ في إبراز سلطتها على أشخاص معينين، يمتلكون زمام السلطة فيها، وينتجون الخطاب وفق ما تقتضيه، فليس منتج الخطاب هنا وزير الصحة بصفته الشخصية، بل بوصفه وزيرًا للصحة ومنتجًا لخطاب اقتضاه وصفه وزيرًا.

وتتراوح العلاقات التخاطبية بين أطراف الخطاب قربًا وبعدًا، علوًا أو دنوًا بالرجوع إلى مفهوم السلطة هذا، وعلى ضوء هذا المعيار يتم تحديد استراتيجيات الخطاب المناسبة، والتي قد تكون تضامنية، يصبح فيها طرفا الخطاب وكأنهما الأقران لغةً، ويمكن أن يعبر منتج الخطاب عن تلك العلاقة بأدوات لغوية كثيرة، منها على سبيل

(١) نظام الخطاب: ١٤.

(٢) نظريات السلطة في الفكر السياسي الشيعي المعاصر: ١٠.

المثال، الأدوات الإشارية اللغوية التي تقرب البعيد أو تقترب منه، وتجمع الأطراف المتخاطبة، مثل الضمير نحن الذي يدل على الجمع بين طرفي الخطاب، من مثل قول الوزير: " نحن الآن أمام مفترق مهم في طريق معالجتنا لهذا المرض "، وفي هذا إشارة إلى وحدة حال ومصير بين منتج الخطاب ومتلقيه، فمن مقاصده هنا أن يلتزم الشعب بالإجراءات الاحترازية، ولا بد وصولاً لذلك من أن يشعره بأن الخلاص من هذا المأزق لا يكون بجهود الجهات الصحية فحسب، وإنما لا بد من أن يكون المواطن شريكًا أساسيًا في ذلك، ولا يمكن أن تتم أي معالجة دون تعاونه، وقد استخدم هذا النوع من الضمائر في الأيام التي كان يعلن فيها عن عدم تسجيل إصابات، ولكن بهدف مختلف، كأنه يريد أن يشارك الشعب الاحتفال بنتيجة الالتزام، وهو أنه لم يتم تسجيل حالات إصابة في ذلك اليوم، فقد استخدم ضمير المتكلمين في قوله: " لم نسجل اليوم..."، وفي هذا استلزام غير مباشر أراد من خلاله أن يوصل للمتلقي أنهما في علاقة تحكمها قربى، بل وحدة حال، وقد كان الخطاب في اختياره هذه الاستراتيجية محكومًا بمقصده الأهم؛ وهو الاقتراب من المتلقي والتأثير فيه، بمقتضى استراتيجية تضامنية تحكمها المقاصد.

ومن ملامح هذه الاستراتيجية التضامنية مخاطبة الوزير للشعب بـــ "إخواني وأخواتي الأعزاء"، إذ يحاول من خلالها أن يجسد درجة علاقته بالمتلقي ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، فالعلاقة بين طرفي الخطاب هنا ليست بسيطة، لذلك يسعى منتج الخطاب إلى تأسيس منحى جديد لها بتبسيطها عن طريق التلفظ بالخطاب؛ بأن يتقرب من المتلقي فيشعر أنه يميل إليه ميلاً طبيعيًا خاليًا من أي دوافع أو أغراض، فيأتي منتج الخطاب، حسب طه عبد الرحمن "بفعل القول على الوجه الذي يبرز به دلالته القريبة ويقوي أسباب الانتفاع العاجل به؛ فلا يخفى أن هذا الضرب من التهذيب يولي الأهمية في التخاطب لعملية التبادل، ومعلوم أن كل تبادل بين طرفين يكون مبناه، أساسًا على سعي كل منهما إلى تحقيق أغراض تكون مشتركة أو متساوية بينهما، وإلى طلب الأعواض عن أعماله التي لا يأتي الطرف الآخر بمثلها؛ لذلك تجد المتكلم في هذه المرتبة من

التعامل حريصًا على أن يحفظ عُرى التواصل، حتى يجلب أقصى ما يمكن من عاجل المنفعة لنفسه ولمخاطبه، فيجتهد في التوسل بما يجلب إقبال المخاطب على سماعه وفهم مراده وتلقيه له بالقبول، طمعًا في أن يبادله نفس الحرص على التواصل وعلى الوصول إلى المنفعة المشتركة"(١).

وثمة أصول لاستعمال الأنماط اللغوية والأدوات الإشارية قد يتم تجاوزها باستعمال الاستراتيجية التضامنية بهدف الاقتراب من المتلقي، ومن ذلك الميل إلى استخدام اللهجة العامية، وقد لجأ خطاب وزارة الصحة إلى ذلك في مواطن كثيرة أثناء المؤتمر الصحفي، لتخطي الفوارق، ويعد هذا الخروج على الأصول اللغوية من باب "المصانعة"(٢)، وبما أن استخدام اللهجة خروج على الأصول اللغوية فمن الممكن عدها مصانعة، وهي إحدى استراتيجيات التضامن، التي تعني العمل على منوال عمل المتلقي في اللغة، وليس الموافقة في الرأي، بمعنى الموافقة على قاعدة غير صحيحة لقصد تداولي وهو التضامن مع المخاطب، وقد لجأ وزير الصحة إلى هذا النوع من المصانعة عندما كان يتفاعل مع التعليقات التي كانت ترِد على حساباته على مواقع التواصل الاجتماعي عبر منصة سميت بـ "قبل الحذف"، لجأ الوزير فيها إلى التبسط في القول مع المتفاعلين معه عبر المنصة.

إن من شأن الخطاب بهذه الاستراتيجية أن يقلص المسافات بين طرفي الخطاب، فتصبح العلاقة في نهاية الخطاب أفضل منها في بدايته، وهنا تتحقق للتضامن سمته الغالبة، من أنه علاقة التكافؤ المفترضة التي من شأنها أن تربط بين الناس في جماعات تشترك في اهتماماتها، وسلوكها، وتمثيل ذاتها"(٣)، وهذا ما حدث بالفعل مع وزير الصحة الذي ازدادت شعبيته على نحو لافت في تلك الفترة، وأمسى مؤتمره الصحفي

---

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٢٣.

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص ٣١٤.

(3) Helen spencer-Oatey, conception of social relations and pragmatics research, journal of pragmatics, volume 20 no 1, july1993, p34.

اليومي لحظةً ينتظرها الجميع، لمعرفة مستجدات الوضع الوبائي في البلاد أولاً، وتعلقًا بشخص الوزير ثانيًا، الذي نجح في أن يكسب ثقة المواطنين، وينقلهم إلى الشعور بأن علاقتهم به ليس علاقة صاحب سلطة بالشعب، بل هي علاقة تكافؤ، لإحساسهم بأنه يشاركهم همومهم ويمثل ذاته بالطريقة ذاتها التي يمثلون هم بها ذواتهم، فيقول لهم مناديًا: إخواني وأخواتي الأعزاء، ومن ذلك استخدامه الفعل المنسوب إلى جماعة المتكلمين مثل: "نتخطى، ونصل، ونسجل، وندعو الأخوة المواطنين"، ومن ذلك وصفه لمحافظة إربد وهي محافظة كانت قد تفاقمت فيها حالة انتشار الوباء وخرج الوزير في موجزه الصحفي ليعلن قرار عزلها؛ إذ يقول: "المحافظة العزيزة على قلوبنا"، فهدف الوزير واضح من استخدامه هذه الاستراتيجية التضامنية وهو كسب ولاء الناس وثقتهم، سعيًا منه لجعلهم يؤمنون بصواب القرارات التي يتخذها، وقد تم تحقيق هذا الهدف بحسن استعمالات الـ (أنا) وال (نحن) في الخطاب.

لقد كان واضحًا أن هدف اجتماع عناصر الخطاب يؤسس لعلاقة ليس الهدف منها مجرد التبليغ، إذ إن الأساليب اللغوية التي يتلفظ بها الوزير في خطابه هذا بعد أن يضع نفسه مكان المتلقي، ويضع المتلقي مكانه، حتى يقف على تصور كافٍ لخطابه من حيث اختيار الاستراتيجية المناسبة للسياق، فقد كانت لقاءاته تبدأ ببعض عبارات الاحترام المصبوغة بشيء من الرسمية، تجسد درجة من التضامن تبدأ ضعيفة، تميل شيئا فشيئًا إلى الابتعاد عن الحياد فتخطو بالعلاقة إلى الأمام، من الملاحظ أنه عند التلفظ بالخطاب وفقًا للاستراتيجية التضامنية، يبدأ المسؤول بالتخلي تدريجيًا عن سلطته، وهذا التنازل التدريجي ما هو إلا تصاعد في حقيقة الأمر للتضامن مع الشعب، إذ استعملت علامات لغوية دالة على تنازله عن السلطة من ناحية، كما تدل نفسها على التضامن من ناحية أخرى مثل الأسلوب البسيط واستخدام العامية ...الخ، فاستخدامه أسلوب النداء "أيها الإخوة والأخوات"، ووصفهم بالأعزاء، ومن ثم نسبة الأفعال إلى جماعة المتكلمين باعتباره مع الشعب يمثل وحدة واحدة؛ إذ يقول: "لم نسجل، ولن نسمح، ونقف معًا، وجسدنا بتعاوننا وجهدنا المشترك"، ومن ذلك قوله "إن سرعة مجيء هذا اليوم تعتمد عليكم أيها الأخوة المواطنون، وعلى وعيكم ومدى التزام

الجميع"، وقوله: "أسعد الله مساءكم بكل خير" وندعو الإخوة المواطنين ممن خالطوا.."، ومن ذلك قوله: "نحن الآن أمام مفترق مهم في طريقة معالجتنا لهذا المرض، القضاء عليه يعتمد علينا جميعًا" إن كلمة "أمام" هنا ظرف مكان مجازي يفيد الإشارة إلى الزمان وكذلك كلمة الآن ظرف زمان، كلتاهما تشتغلان على نسق استدلالي واحد، في محاولة للتأكيد على أهمية اللحظة، وقد استعان بالضمير نحن الذي يؤكد على وحدة الحال بينه وبين المتلقي، فاستخدام الزمن الحاضر وضمير الجمع " نحن " والضمير المتصل " النا في معالجتنا "، والضمير المتصل " النا في علينا "، وكذلك التوكيد بـ " جميعًا " ما هو إلا محاولة للتوكيد على هذه الحالة، ولا يستعمل منتج الخطاب هذه الاستراتيجية عادة إلا بعد أن يثق أن هذا لن يؤثر في العلاقة التراتبية ولن يمس بمقتضياتها الأصلية أو يمحو أثرها، من غير أن يطغى استعمالها على ما تقتضيه أسباب الاحترام في السياقات التي تتطلب ذلك(١).

ومن الآليات اللغوية التي تجسد استراتيجية التضامن "المكاشفة"، ومن ذلك الطريقة التي بدأ الوزير يعرض فيها أرقام تزايد فيها أعداد المصابين في إحدى المحافظات، وفي هذا الموقف قال: "لدينا وبكل أسف أرقام صادمة"، وقد اتبع هذه الطريقة في تعبيره عن خيبة الأمل من التزام بعض المواطنين قائلاً: "كنت أبعث الطمأنينة لكن اليوم أربع محافظات مختلفة تم تسجيل إصابات فيها"، ومن ذلك قوله: "إن هذا الارتفاع المفاجئ مؤشر خطير رغم الاحتياطات..." و"للأسف شهدت استهتارًا من بعض المواطنين" و"نحن الآن أمام مفترق طرق"، ويعد اللجوء إلى الصراحة مع المتلقي دليلاً على التضامن والثقة به.

وقد استعان الوزير باستراتيجية نكران الذات أثناء عمله لتقليل الفوارق بينه وبين المتلقي، وهذه من أدوات التضامن كذلك، وقد كان ذلك ملموسًا في المؤتمرات التي كان يتم فيها الإعلان عن عدم تسجيل إصابات؛ إذ يقول: "ولله الحمد لم نسجل أية

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٢٥٧.

إصابة في المملكة اليوم ... وهذا يدل على التزامنا الجيد "، وقوله "جسدنا بتعاوننا وجهدنا المشترك "، ولم يقل جهد وزارة الصحة وفرق التقصي الوبائي فحسب.

وتعد الطرفة كذلك من آليات التضامن وتتأسس على الخلفية المعرفية المشتركة وكذلك على القيم ويمكن استعمالها لتثبيت تلك الخلفية أو تلك القيم المشتركة، وكأنها مفتاح لتأسيس العلاقة، إن استعمال الطرفة من قبل صاحب السلطة تعطي انطباعًا برغبته في التضامن، وإراحة المتلقي بإزالة الفوارق، وقد كان ذلك موجودًا ليس في الإيجاز الصحفي اليومي الذي كان يخرج فيه الوزير في مؤتمر صحفي، وإنما من خلال المنصة التي كان يتفاعل فيها الوزير مع ما يتم التفاعل معه فيه في حساباته على وسائل التواصل الاجتماعي، في محاولة لكسر الجمود وإيصال تضامنه مع المتلقي، وقد كان في حواره هذا يلجأ إلى الدعابة، وقد وجه له أحد المعلقين انتقادًا بأن مثل هذا البرنامج فيه تجاوز لهيبة وزير الصحة، وقد رد عليه بأن "هذا من مسؤولياتي لأنني أريد أن يثق الناس بإجراءات وزارة الصحة"، وفي هذا إشارة صريحة إلى نيته التضامنية مع المتلقي.

ومن هذه الآليات التنغيم المناسب فهو أساس كل تلفظ بالخطاب، وبه يستطيع منتج الخطاب تمثيل الاستراتيجية التضامنية مهما كانت أداته اللغوية، بل إن التنغيم وحده قد يدل على التضامن رغم عدم دلالة الخطاب الحرفية عليها، وقد كان التنغيم لاعبًا أساسيًا في خطاباته الخاصة بإعلان نتائج عدم تسجيل إصابة، إذ كان يبدأ بنبرة عالية قائلاً: "ولله الحمد، لم تسجل أية إصابة في المملكة اليوم".

هذا من جانب، لكننا نستطيع أن نلمس بوضوح منحى آخر في الخطاب الصحي يلجأ إلى نمط آخر من استراتيجيات الخطاب تعلو فيه السلطة على المقاصد، أو ربما تتوسل المقاصد بالسلطة للتأثير في المتلقي، وأقصد هنا الاستراتيجية التوجيهية، وتتجسد من خلال توجيه المتلقي بآليات صريحة، مثل أساليب الأمر والنهي الصريحين والتحذير والإغراء، وقد لجأت وزارة الصحة إلى ذلك في الخطابات التي كان يتم فيها إصدار أوامر الدفاع، وهو قانون عسكري تم العمل به من قبل الدولة أثناء

الجائحة لإضفاء صفة الإلزام على القوانين، من ذلك استخدام الفعل المضارع المبني للمجهول في نص أوامر من مثل: "يُحظَر، تُعلَّق ، يُستثنى، يُعاقب"، فالمبني للمجهول هنا هو في الواقع معلوم بالسياق، لأن منتج الخطاب يتمتع بالسلطة الكافية التي تخول له الاكتفاء باستعمال المبني للمجهول، ومنها أفعال تحمل معنى الأمر والتنبيه مثل: "يتوجب، يعاقب بالحبس" ، من مثل قول الوزير: "يُحظر تنقّل الأشخاص وتجوالهم في جميع مناطق المملكة ...، وتُغلق جميع المحلات...، ويُستثنى من الحظر...، ويُعاقب كل من يخالف أحكام أمر الدفاع هذا والبلاغات الصادرة بمقتضاه بالحبس الفوري مدة لا تزيد على ستة أشهر"، ومن ذلك تهديده قائلاً: "لن نسمح لأحد أن يفسد جهد الآخرين..."، وقد لجأ إلى التوبيخ في قوله: "لكن للأسف شهدت استهتارًا من بعض المواطنين"، ومن مواطن التحذير، بل ربما وصل الخطاب فيها إلى درجة التهديد في قول الوزير: "إن أي محاولة لإثارة الهلع ستتعامل معها وفق أحكام القانون"، وقد يتركب الخطاب من عدد من الأفعال الإنجازية تتفاوت في درجة الصراحة مثل التحذير بالتلفظ بالفعل الصريح "احذر" أو باستعمال إحدى أدواته؛ مثل إياك، وقد كان ذلك في خطاب الوزير عندما حاول أن يبث الخوف في نفوس المتلقين عندما قال: "لقد فاقت الأعداد ما كنا نتوقع" وعندما قال: "هؤلاء معروفون لدينا وتم تحديد هوية عدد منهم وستتم ملاحقتهم قانونيًا، ولن نتهاون مطلقًا باتخاذ الإجراءات اللازمة بحقهم".

من خلال خطاب كهذا يبرز دور السلطة التي تعطي منتج الخطاب نفوذًا يمارسه من خلال الأدوات اللغوية، فلا يجد المتلقي بدًا من الامتثال والتنفيذ، وفي هذا مباشرة في القصدية، فلم يلجأ منتج الخطاب إلى أن يكون قصده مستلزمًا في الحوار، يستلزم معنى غير المعنى الذي يدل عليه ظاهر القول، وإنما كان واضحًا مباشرًا.

وقد كانت هذه الاستراتيجية مناسبة لقرارات كهذه تتضمن الغلق التام للبلاد، فثمة سياقات لا تناسبها الخطابات المرنة التي تهدف في المقام الأول إلى إلغاء الفوارق، ومرد ذلك إلى أسباب لعل منها ما يتعلق بأولوية التوجيه على التضامن في خطابات النصح والتحذير وغيرها، فتتوجه العناية فيها لتبليغ قصد منتج الخطاب وتحقيق هدفه

الخطابي، وإغفال الجانب التعاملي الذي يعد وقتها ثانويًا، وربما يود بهذه الاستراتيجية أن يفرض قيدًا على المتلقي أو ربما إرسال رسالة بعدم التضامن نهائيًا، بل التوجيه وإبعاده عن الضرر، لذلك يشكل الخطاب ذو الاستراتيجية التوجيهية ضغطًا على المتلقي وتوجيهًا له للقيام بفعل ما مستقبلاً.

وتنقسم أصناف المتلقي عند اللجوء إلى هذه الاستراتيجية إلى صنفين: الأول متخيل له صورة نمطية معينة في السياق، حاضر في ذهن منتج الخطاب أثناء إنتاج الخطاب، أما الصنف الآخر فهو الحاضر لحظة التلفظ بالخطاب، لكن الأمر بالنسبة لموقف الوزير وإن كان يلقي خطابه أمام مجموعة من الصحفيين في مؤتمر صحفي إلا أن المخاطب الحقيقي هو تلك الصورة الذهنية المتخيلة للمواطن الذي قد تراوده نفسه بمخالفة أوامر الدفاع.

ولا يعد التوجيه فعلاً لغويًا فحسب لكنه وظيفة من وظائف اللغة التي تعنى بالعلاقات الشخصية حسب تصنيف هاليداي، "اللغة تعمل على أنها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجهات المرسل إليه وسلوكه"[(1)]، وتسمى كذلك بالوظيفة الإيعازية، ولا يكفي النظام اللغوي لأداء هذه الوظائف فهناك بعض العناصر الهامة التي تعطي التوجيه قوته الإنجازية ومنها: سلطة منتج الخطاب والجهة التي توجه الخطاب، ولذلك كانت نتيجة الفعل التوجيهي ملزمة للمتلقي عبر سلطة منتج الخطاب، فهي أوامر قانون الدفاع الذي يقضي بحبس من لا يلتزم به لمدة سنة كحد أقصى.

وتتسم هذه الاستراتيجية بالوضوح في التعبير دون اللجوء أبدًا إلى استراتيجية التلميح، فوضوح القصد سبب في عدم حيرة المتلقي، مما يضمن تحقيق الهدف، وربما لن يتحقق الهدف من الخطاب لو كان غامضًا، أو يحتمل أكثر من تأويل، بل قد ينطوي على نتائج وخيمة إذا لم يتم تفعيل مضمون التوجيه المقصود، وعليه، فإن من مميزات التوجيه الصريح أنه لا يستلزم أكثر من قصد للخطاب، ومن ثم فإنه لا يدع

(1) Halliday, M.A.K and R. Hasan, Cohesion in English, London, Longman.1976, P:37.

فرصة للمتلقي للتأويل أو التجاهل، إلا أننا نجد ما يمكن تسميته بالاستراتيجيات التلميحية قد يبطن فيها منتج الخطاب مقصده، ويتكفل بعد ذلك سياق الخطاب في كشفها، ومن أبرز الأدوات اللغوية المستخدمة في ذلك أساليب الاستفهام والنفي، من مثل قول الوزير: "ليس من الرجولة التمرد الآن".

لقد اعتمد الخطاب على الاستراتيجية التوجيهية في مثل تلك المواقف من باب الإصرار على حصول مقتضى خطابه بشكل كامل، بمدلوله الحرفي الذي لا يحدث لبسًا في ذهن المتلقي، ويعد استعمال تلك الاستراتيجية احترازًا من سوء الفهم أو التأويل الخاطئ، وقد استخدمت هذه الاستراتيجية بشكل كبير بعد حصول تحدٍ واضح للأنظمة والتعليمات وإساءة استخدام لها من قبل فئة من الشعب.

وقد تراوحت أساليب الخطاب في الاستراتيجيات التوجيهية بين أشكال لغوية مختلفة يميل فيها إلى الطلب والعرض والتكليف والأمر والإرشاد والمنع والتعليم والفرض، وتؤكد هذه الأشكال اللغوية على اعتقاد منتج الخطاب بأن خطابه، بحكم سلطته، يمثل سببًا كافيًا يؤثر في المتلقي ليقوم بعمل ما، والوسائل اللغوية في الاستراتيجية التوجيهية هي: الأمر بأدواته، والنهي، والاستفهام، والتحذير، والإغراء، ذكر العواقب، والتوجيه المركب، والسؤال، والمناشدة، وألفاظ المعجم التي تشير بشكل مباشر على مدلول هذه الوسائل، وأسماء الإشارة للقريب والبعيد.

لا يهدف خطاب كهذا إلى نقل القول فحسب، بل يهدف إلى أقوال وأفعال إنجازية تغير وضع المتلقي، ونظام معتقداته، أو موقفه السلوكي من خلال ثنائية "افعل ولا تفعل "، فالخطاب عبارة عن أفعال كلامية تتجاوز الأقوال والملفوظات إلى الفعل الإنجازي والتأثير الذي يتركه هذا الإنجاز، ومن هنا تتبني نظرية الأفعال الكلامية على ثلاثة عناصر: فعل القول، بما يعنيه من إطلاق ألفاظ في جمل مفيدة سليمة التركيب ذات دلالة تحمل حمولات قضوية إخبارية، وعنصر الفعل المتضمن في القول وهو فعل إنجازي يحدد الغرض المقصود بالقول، وعنصر الفعل الناتج عن القول: وهو ما ينتج عن القول من آثار لدى المتلقي إثر فعل القول، كإقناع المتلقي وحثه وتوجيهه أو

تضليله، وتحضر هذه المستويات جميعها في الوقت ذاته، وبدرجات متفاوتة في خطاب وزارة الصحة.

لقد مزج خطاب وزارة الصحة في تلك الفترة بين الاستراتيجيتين في آن معًا، فكان توجيهيًا بشكل مباشر قاطع عندما كان يتعلق الأمر بتلاوة نص أوامر الدفاع، وكان تضامنيًا في الوقت الذي كان يوجه فيه الوزير خطابه للشعب ليحافظوا على الإجراءات الاحترازية لدرجة أنه في موقف ما رجاهم قائلاً: " رغم أنني عسكري والعسكرية لا ترجو، إلا أنني أرجوكم "، في تعبير صريح عن رغبته باستخدام استراتيجية تضامنية في الخطاب.

يتضح من مجمل الاستراتيجيات المتبعة أن الهدف من إنشاء هذه الخطابات هو إقناع الشعب بأهمية التباعد والوقوف صفًا لمواجهة الوباء، لذلك اتبع الخطاب استراتيجية الإقناع وصولاً إلى المقصد، وتتيح أساليب اللغة آليات متعددة وحيلاً لغوية مختلفة، منها ما يخاطب العواطف، ومنها ما يتعامل مع عقل المتلقي مثل الآليات الحجاجية التي يمكنه عن طريق البراعة فيها أن يتخذ الأقوال أدلة تساق أمام المتلقي حتى يقنعه دون الحاجة إلى التأثير في عواطفه، ويوظف لها كافة العمليات المنطقية التي تتيحها إمكانات اللغة، وقد كان خطاب وزارة الصحة في هذه المرحلة مباشرًا في غالب الأحيان يميل إلى الإقناع لا إلى التلميح.

لقد كانت استراتيجية الإقناع بادية في الخطاب في مستوياته التوجيهية والتضامنية، وينبني فعل الإقناع وتوجيهه دائمًا على افتراضات مسبقة عند المتلقي بشأن عناصر السياق والخطابات السابقة والخطابات المتوقعة، ومسوغات استخدام آلية الإقناع أن تأثيرها التداولي في المتلقي أقوى، لأنها تنبع من حصول الاقتناع عنده فلا يشوبها فرض أو قوة، وتمتاز بأنها، أي استراتيجية الإقناع، تأخذ بمتنامي الخطاب بين طرفيه عن طريق استعمال الحجاج، [1] فالحجاج شرط في ذلك، لأن من شروط التداول اللغوي الإقناع، فعندما يطالب منتج الخطاب غيره بمشاركته اعتقاداته، لا تحمل مطالبته

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:٥٤٢.

صبغة الإكراه، ولا تتبنى منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوعة تجر التلقي إلى الاقتناع برأيه.

ويلجأ الوزير إلى الإقناع على الرغم من أنه ذو سلطة تخوّل له استعمال استراتيجيات أخرى، لكنه لجأ للإقناع لأنه أمام متلقٍ قد تغيرت ثقافته وإدراكه لكثير من الأمور، خاصة في ظل هذه الجائحة التي كثرت فيها الأخبار الطبية التي كان بعضها مقبولاً وكثير منها كان أبعد ما يكون عن المنطق، إلا أن السياق العام كان مناسبًا لشيوع مثل تلك الأخبار المضللة، لذلك ربما لن يتقبل المتلقي الاستراتيجيات التوجيهية دائمًا، كما أن استراتيجيات استمالة العواطف ربما لم تعد تؤثر فيه، لذلك كان الإقناع سلطة، لكنها سلطة مقبولة إذا استطاعت أن تقنع المتلقي، إذ لا تحقق استراتيجية الإقناع نجاحها إلا عند التسليم بمقتضاها، إما قولاً أو فعلاً، إن ما جعل الإقناع سلطة مقبولة، هو كون الحجاج هو الأداة العامة من بين ما يتوسل به منتج الخطاب من أدوات أو آليات لغوية، وتعد استراتيجية الإقناع كفاءة تداولية بوصفها دليلاً على مهارة منتج الخطاب يلجأ لها خشية سوء التأويل، خاصة مع نشاط وسائل التواصل.

ويتوسل منتج الخطاب عادة بألفاظ التعليل التي تعد من الأدوات اللغوية المستعملة لتركيب خطاب حجاجي، وبناء حجج فيه، ومنها: المفعول لأجله، وكلمة السبب، ولأن، ومثال ذلك قول الوزير أثناء تعليقه على عدم التزام بعض المواطنين بالإجراءات الاحترازية: " ... وبناءً على ذلك ومن أجل حمايتكم والحفاظ على سلامتكم نعلن أمر الدفاع رقم ٢ لعام ٢٠٢٠، وتاليًا نصه ... " وذلك باستخدام تركيب "من أجل"، وقد لجأ إلى المفعول لأجله في قوله: "...ونظرًا لما تمر به منطقتنا والعالم أجمع ولمنع انتشار الأوبئة قررنا إصدار أمر الدفاع التالي..."، فلم يتم إعلان أمر الدفاع الذي يعد غلقًا كاملاً للبلاد، ومثار انتقاد واحتجاج كثيرين إلا بعد أن قدم بمقدمة منطقية تفيد بأن سبب ارتفاع أعداد الإصابات هو عدم التزام بعض المواطنين، ومن ذلك قوله: " إن انخفاض أعداد الإصابات لا يعني زوال الخطر، فالأمور ما زالت بحاجة إلى الحذر الشديد والتقيد بقيود السلامة العامة والإجراءات الاحترازية الصارمة... الكثير من دول العالم التي انتشر فيها

الفيروس شهدت تباينًا في أعداد الحالات بين يوم وآخر وبالتالي فإن انخفاض الأعداد لهذا اليوم ليس مؤشرًا على بدء زوال هذا الوباء أو القضاء عليه...".

وتعد الإحصاءات من الآليات الحجاجية التي تُغني عن الأساليب اللغوية الحجاجية فتقدم ذاتها بوصفها دليلاً لا يقبل الطعن، وتستعمل عادة للدلالة على قوة الحجة، فتجلو الحقيقة دونما الحاجة إلى دليل بل هي دليل بحد ذاتها، وأمثلتها في كل الأرقام التي كان يسوقها الوزير للتأكيد على نتائج.

يمكن القول، بناء على ما تقدم، أنه لا يمكن تحديد وظيفة اللغة من وجهة نظر تداولية بمعزل عن الاستراتيجيات التي يستخدمها منتج الخطاب، ولا يمكن تحديد هذه الاستراتيجيات التي يتوخاها بمعزل عن المقاصد التي لديه، وعن المتلقي والسياق بعناصره المتعددة، بمعنى أن للكفاءة التداولية دورًا في صنع الخطاب وتشكيله لغويًا بالإضافة إلى اختيار استراتيجيته المناسبة التي تشكل متممًا للكفاءة.

وتمنح منصة الخطاب الإعلامي لوزارة الصحة صفة الفعل المنجز، من هنا تبرز أهمية مفهوم المؤسسة في التحليل التداولي، لأن الخطاب محل الدراسة صادر عن السلطة الضامنة للتعامل مع محتوى الخطاب بوصفه فعل منجز وليس مجرد كلام، سلطة الوزير هي ظل المؤسسة التي يستمد منها قدرته على إنجاز الخطاب وإخضاع المتلقي إلى التعامل مع لغة الخطاب باعتبارها صيغة عقد تصدر عن تلك السلطة، وقد ظهر ذلك في البحث من خلال رصد استراتيجيات الخطاب الواردة في خطابات الوزير وإبراز أهمية استثمارها في تحليل الخطاب، وترجيح انتماء استراتيجيات الخطاب إلى ما يمكن تسميته بالكليات الإنسانية التي يجتمع الناس في تلقي واستعمال كثير منها، مع التأكيد على دور السلطة والمقاصد في تنوع هذه الآليات واختيارها، كما قصد البحث إلى بيان أهمية الكفاءة التداولية في صنع الخطاب وتشكيله لغويًا بالإضافة إلى اختيار استراتيجيته المناسبة للمقام، فكان للسياق أثره الواضح في لغة الخطاب الرسمي لوزارة الصحة من حيث المقاصد، وقد ترتب على ذلك نتائج خطابية انبنت كما ظهر على عاملي المقاصد والسلطة؛ المقاصد بما استدعته من استراتيجيات الإقناع، والسلطة بما استدعته من استراتيجيات التوجيه والتلميح.

المصادر والمراجع

استراتيجية الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، الشهري، عبد الهادي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت، ٢٠٠٣.

التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي، شبكة الألوكة.

دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، ١٩٩٨.

لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١.

اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، حافظ إسماعيل علوي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط١، بيروت، ٢٠٠٩.

مدخل إلى اللسانيات، محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤.

المقصد والاستراتيجية، محمد مفتاح، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة بحوث ومناظرات، الدار البيضاء، ١٩٩٣.

النص والسياق، فان ديك، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٠.

نظام الخطاب، ميشيل فوكو، ترجمة: محمد سبيلا، دار التنوير، ٢٠٠٧.

نظريات السلطة في الفكر السياسي الشيعي المعاصر، علي فياض، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط٢، بيروت، ٢٠١٠.

نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، دار هومة، ط١، الجزائر، ٢٠٠٧.

Halliday, M.A.K and R. Hasan. Cohesion in English, London. Longman, 1976.

Helen spencer- Oatey, conception of social relations and pragmatics research, journal of pragmatics, volume 20 no 1, july1993.

P. Grice. Logic and conversation, In Steven David (ed), Pragmatics: A reader, New York, Oxford University press, 1991K.

Kaynakça / References

Aljurjaniu Dalayil Al'iiejaz, Eabd Alqahr, Maktabat Alkhanijii, Thqyq: Mahmud Shakirun.

Allisan Walmizan 'Aw Altakwthr Aleaqliu, Taha Abdurrahman, Almarkaz Althaqafiu Alearabiu, Aldaar Albayda', T 1, 1998.

Allisaniat Fi Althaqafat Alearabiat, Hafiz 'Iismaeil Elwy, Dar Alkitab Aljadidat, Bayrut, T 1, 2009.

Almaqsid Wal'iistratijiat, Mohammed Miftaah Kuliyat Aladab Waleulum Al'iinsaniat, Silsilat Bihawth Wamunazarat, Aldaar Albayda', 1993.

Alnas Walsiyaq, Aistiqsa' Albahth Fi Alkhitab Aldilalii Waltadawulii, Fan Dik, Tarjamat Eabd Alqadir Quniniun, Alshrq 'Iifriqiaan, Aldaar Albayda', 2000.

Altadawliaat Watahlil Alkhitab, Jamyl Hamadawi, Shabakat Al'alwakat.

Halliday, M.A.K and R. Hasan. Cohesion in English, London. Longman, 1976.

Helen spencer- Oatey, conception of social relations and pragmatics research, journal of pragmatics, volume 20 no 1, july1993.

'Iistratijiat Alkhitab, Muqarabatan Lighawiat Tadawuliat, Eabd Alhady Alshahriu, Dar Alkitab Aljadid Almutahidat, Bayrut, T 1, 2003.

Lisaniat Alnas, Madkhal 'Iilaa Ainsijam Alkhitab, Mohamed Khattabi, Almarkaz Althaqafiu Alearabiu, 1991, T 1.

Madkhal 'Iilaa Allisaniat, Al'imarat Alearabiat Almutahidat, Muhamad Yunus Ealewi, Dar Alkitab Aljadid Almutahidat, T 1, 2004.

Nazariat Alnasi Al'adbii, Abdulmalik Murtad, Aljazayir, Dar Humat, T 1, 2007.

Nazariat Alsultat Fi Alfikr Alsiyasii Alshiyeii Almueasir, Fiad, Ealay, Bayrut, Markaz Alhadarat Litanmiat Alfikr Al'iislamii, 2010, T 2.

Nizam Alkhitab, Myshyl, Fuku, Tarjamat Muhamad Sabilana, Dar Altanwir, 2007.

P. Grice. Logic and conversation, In Steven David (ed), Pragmatics: A reader, New York, Oxford University press, 1991K.